الخطاب السنوي لمؤسسة بيل وملينداغيتس 2024

فرصة لا تُتاح إلا مرة واحدة في كل جيل للعمل الخيري

مارك سوزمان، الرئيس التنفيذي

مارك سوزمان، الرئيس التنفيذي لمؤسسة بيل وملينداغيتس، وتالاش هويجيرز، المؤسسة والرئيسة التنفيذية لشركة إنسكتيبرو (InsectiPro)، في زيارة لمنشأة لتربية الحشرات في مدينة ليمورو الكينية في 2023. ©Gates Archive/Brian Otieno

لمحة موجزة

التزمت مؤسسة بيل وملينداغيتس بإنفاق 8.6 مليار دولار هذا العام للمساعدة في تلبية الاحتياجات المتزايدة وتمويل طرق مبتكرة لإنقاذ الأرواح وتحسين حياة الناس. هناك العديد من المحسنين الذين يكثفون مساهماتهم، إلا أن هذه اللحظة الاستثنائية تتطلب المزيد: مزيد من الإسراع، ومزيد من الموارد، ومزيد من الأفكار الجديدة والجريئة من جميع أنحاء العالم. ومن خلال التركيز على أكبر الاحتياجات الإنسانية، يمكننا تحقيق الإمكانات الكاملة للعمل الخيري في وقت أصبح فيه العالم بأمس الحاجة إليه.

في العام الماضي، توفي رجل يدعى تشاك فيني، عن عمر 92 عاماً. كان فيني ملياردياً، لكن لعلكم لم تسمعوا عنه من قبل. لقد عاش حياة متواضعة عن قصد. كان يرتدي ساعة يد بقيمة عشرة دولارات، وفي السنوات الأخيرة من عمره، لم يكن يملك منزلاً أو سيارةً. إن المجال الذي حقق فيه ثروته، وهو التسوق المعفى من الرسوم الجمركية، لا يلقى اهتماما إعلاميا كبيرا.

وإذا بحثت عن اسم فيني منحوتا على أحد المباني، فلن تجده، لكنه ترك إرثا لا يُمحى أثره.

في عام 2011، انضم فيني إلى حملة "تعهد العطاء" التي أطلقها أفراد من ذوي الثروة الهائلة التزموا بإعطاء معظمها للأعمال الخيرية إما أثناء حياتهم أو في وصياتهم. وكتب في ذلك الوقت: "لا يمكن للشخص الثري، في اعتقادي، أن يستخدم ثروته بشكل أنسب وأكثر مكافأة مما إذا فعل ذلك في حياته، وكرّس نفسه لجهود هادفة لتحسين الحالة الإنسانية".

لم يصبح فيني شخصا رائعا بسبب ما قال إنه سيفعله، بل لأنه فعل ذلك على نحو كامل وبتمعن. لقد تبرع بكامل ثروته تقريبا وهو لا يزال حياً. وتبرع بها لمجموعة واسعة من القضايا الإنسانية في جميع أنحاء العالم: تعزيز نظام الصحة العامة في فيتنام، وعيادات فيروس نقص المناعة البشرية "الإيدز" في جنوب أفريقيا، والحملات الشعبية لتوسيع تغطية الرعاية الصحية لتشمل الأشخاص ذوي الدخل المنخفض، على سبيل المثال لا الحصر.

وقد ألهم العمل الخيري القوي الذي أقدم عليه فيني بكل تواضع الكثير من الناس، بمن فيهم وارن بافت والرئيسين المشاركين لمؤسستنا، بيل غيتس وملينداً فرنش غيتس. لقد أظهر لنا جميعا كيف أن أعمالا يقوم بها شخص سخي واحد يمكن أن تدفع عجلة التقدم على مدى أجيال.

وهذا بالضبط ما تهدف مؤسستنا إلى القيام به. فنحن نؤمن بأن لكل واحد الحق في التمتع بحياة صحية ومنتجة، بغض النظر عن هويته أو المكان الذي يعيش فيه.

تشاك فيني في عام 2012. مصدر الصورة Pascal Perich/Contour by Getty Images

ولإحداث أكبر تأثير – والذي نقيسه بعدد الأرواح التي يتم إنقاذها ومدى تحسين سبل العيش – نركز على المناطق ذات الاحتياجات الإنسانية الكبيرة في الولايات المتحدة وحول العالم. نحن ملتزمون بإنفاق أموال مؤسستنا بعد وفاة مؤسسيها لأننا نركز الآن على حل المشكلات العاجلة، والمساعدة في إنشاء أنظمة ستبقى بعد رحيلنا.

لهذا السبب التزم مجلس إدارتنا بزيادة مساهمتنا السنوية لتصل إلى 9 مليار دولار بحلول عام 2026. وفي وقت سابق من هذا الشهر، وافق المجلس على ميزانية 2024 بقيمة 8.6B$، والتي سنستخدمها لتمويل حلول مبتكرة لإنقاذ الأرواح وتحسين حياة الناس.

وهناك أيضا محسنون آخرون يزيدون من مساهماتهم - وفي هذه الرسالة سأشارككم لماذا يجعلني ذلك متفائلا بشأن مقدار ما يمكننا تحقيقه معا في وقت تشتد فيه الحاجة وتتوافر فيه فرص أكبر.

تحديات كبيرة وإمكانات ضخمة

في السنوات التي تلت تفشي جائحة كوفيد-19، شهد العالم زيادة في الفقر المدقع، بعد عقود من التراجع. إضافة إلى عودة أمراض معدية قاتلة للظهور. وكوارث مناخية. وحروب قديمة وأخرى جديدة.

إنه لمن الصعب مكافحة أوجه عدم المساواة. الآباء يدفنون أطفالهم الذين هلكوا بسب أمراض لم تعد تشكل مدعاة للقلق في البلدان الغنية. وتموت النساء أثناء الولادة وكان يمكن إنقاذهن بتدخلات أساسية منخفضة التكلفة، وذلك بسبب عرقهن أو دخلهن أو مكان ولادتهن فقط. يعيش مئات الملايين من الناس على أقل من 2.15 دولار في اليوم - وفي الوقت ذاته ارتفعت ثروة المليارديرات خلال الأشهر الـ 24 الأولى من الجائحة بمقدار يفوق ما شهدناه في السنوات الـ 23 السابقة.

وفي حين تتزايد الاحتياجات، فإن البلدان المنخفضة الدخل لديها موارد أقل لتلبيتها. ويعيش ما يقرب من نصف سكان العالم حاليا في بلدان تنفق على خدمة ديونها الخارجية أكثر مما تنفقه على الرعاية الصحية. كما أن المساعدة الإنمائية الرسمية - وهي المنح والتمويل منخفض التكلفة التي تساعد أفقر البلدان على تلبية الاحتياجات الإنسانية الأساسية - قد انخفضت بشكل مُطرد بالقيمة الحقيقية، حيث تنفق البلدان الغنية المزيد على أولويات أخرى في الداخل والخارج.

والخبر السار هو أن هناك حلولاً، إما قائمة أو ناشئة، من شأنها تحسين حياة الناس وإنقاذ الأرواح على الرغم من تلك التحديات. هناك أدوات رقمية مبتكرة يمكن أن تتيح لمزيد من النساء إمكانية الحصول على الفرص الاقتصادية. يمكن للتدخلات الجديدة التي تنطوي على ميكروبيوم الأمعاء أن تساعد في حل مشكلة سوء التغذية. ويمكن أن تساعد الابتكارات الزراعية المزارعين على زيادة الإنتاج، حتى في ظل الظروف الجوية القاسية.

لكن إذا لم تحظى هذه الحلول بالدعم اللازم فسوف تصبح مجرد إمكانات مهدرة. وكلما أسرعنا في تقديم هذا الدعم، زاد عدد الأشخاص الذين يمكننا مساعدتهم اليوم، وكانت أحوال الجيل القادم أفضل.

أمثلة في مجال العمل الخيري

يتعاون المحسنون في جميع أنحاء العالم مع المجتمعات المحلية والمنظمات غير الحكومية والحكومات لتوظيف أموالهم في سبيل إحداث تأثير إيجابي. وفيما يلي بعض الأمثلة المختارة.

تفضلوا بزيارة الموقع الإلكتروني https://gates.ly/AL2024، لمشاهدة الفيديو ومعرفة المزيد عن عمل مؤسسة عظيم بريمجي.

الاستثمار في إعداد الجيل القادم

التعليم هو أكثر الطرق منهجية لتحقيق العدالة والإنصاف في المجتمع. - عظيم بريمجي

تتمثل رؤية مؤسسة عظيم بريمجي في المساهمة في بناء مجتمع أكثر عدلا وإنصافا وإنسانية واستدامة. ويركز عملها على النهوض بالتعليم في الهند.

تفضلوا بزيارة الموقع الإلكتروني https://gates.ly/AL2024، لمشاهدة الفيديو ومعرفة المزيد عن عمل مؤسسة "سكول".

قيادة التغيير التحويلي

أنئشت مؤسسة سكول من أجل بناء عالم ينعم بسلام وازدهار مستدامين من خلال دعم أصحاب المشاريع الاجتماعية وغيرهم من المبتكرين الاجتماعيين الذين يعملون على وضع حلول جريئة ومنصفة لأكثر مشاكل العالم إلحاحا.

الرهان على إقدام الأشخاص الطيبين على فعل أعمال خيرية. - جيف سكول

تسيتسي ماسييوا مع خريجي أكاديمية ستار للقيادة (Star Leadership Academy)، وهو برنامج قيادة موجَّه للطلاب الأفارقة الموهوبين أكاديميا في مدينة هراري، زيمبابوي.
مصدر الصورة: Stabile Mpengesi

معا، يمكننا أن نقطع مشوارا أطول

بالنسبة لتسيتسي ماسييوا، فإن العطاء هو تعبير عن "حب البشرية".

أصبحت رائدة الأعمال الاجتماعية الزمبابوية محسنة بعد أن شهدت الآثار المدمرة التي خلفها وباء فيروس نقص المناعة البشرية والإيدز على مجتمعها. وبعد أن فقدت خالتها ثمانية أطفال بسبب هذا المرض، لم يكن أمام ماسييوا خيار إلا أن تتصرف. وبالنسبة لها، فإن ذلك يعني العطاء: أولا من خلال مؤسسة هايرلايف الخيرية (Higherlife Foundation)، ثم من خلال منظمة دلتا فيلانثروبيز (Delta Philanthropies)، وقد شاركت في تأسيسهما مع زوجها، ستراياف ماسييوا. (ستراياف هو عضو في مجلس أمناء مؤسسة غيتس).

وقد أدرك كل من ستراياف وتسيتسي أن مواءمة استثماراتهما مع أولويات الحكومة وسياساتها من شأنه أن يزيد من تأثير مساعيهما. وأدى هذا النهج إلى زيادة المنح الدراسية للطلاب، وتحسين تجهيز وتدريب المزارعين في المناطق الريفية من أجل الإنتاج الغذائي المستدام، وانخفاض معدلات الإصابة بالكوليرا والأمراض المدارية المهملة في المجتمعات المحلية.

إن عدم المساواة بين الجنسين يؤدي إلى توسيع الفجوات القائمة في جميع هذه القضايا إضافة إلى نتائج أخرى، وهو ما دفع ماسييوا إلى البحث عن فرص لتوحيد الجهود مع محسنين آخرين من أجل ضمان مستقبل أفضل للنساء والفتيات. وفي عام 2022، أطلقت ماسييوا مبادرة أفريقيا للمساواة بين الجنسين (Africa Gender Initiative) لجمع 50 مليون دولار من محسنين أفارقة من أجل المساواة بين الجنسين.

إذا جمعنا مواردنا وكان لدينا جدول أعمال مشترك، سنكون قادرين على إحداث تأثير أكبر مما لو عمل كل منا بمفرده. - تسيتسي ماسييوا

وهي تترأس اليوم تعاونيتي مانحين اثنتين: صندوق إند (END Fund)، وهو صندوق مكرس لإنهاء الأمراض المدارية المهملة، وتعاونية كوإمباكت (Co-Impact)، وهي تعاونية مانحين تجمع بين الممولين والمنظمات غير الربحية لتوسيع نطاق عملهم الجماعي، بما في ذلك في مجال المساواة بين الجنسين.

وصرحت ماسييوا قائلة: "إن حلول مشاكلنا لن تأتي من محسن واحد أو منظمة واحدة". "ولكن إذا جمعنا مواردنا وكان لدينا جدول أعمال مشترك، سنكون قادرين على إحداث تأثير أكبر مما لو عمل كل منا بمفرده".

بليندا تانوتو أثناء زيارتها لمركز الأمل في شاندونغ بالصين في ديسمبر 2021. الصورة من مؤسسة تانوتو

تحفيز تغيير دائم

تعتقد بليندا تانوتو وأسرتها أن الحصول على تعليم عالي الجودة لا يغير حياة واحدة فحسب، بل يمكن أن يغير مجتمعات بأكملها. وبما أنهم يدركون أن أطفال اليوم هم الجيل القادم من القادة، فهم يسعون لتزويدهم بالدعم الذي يحتاجونه لتحقيق تطلعاتهم.

وقالت تينه تانوتو، والدة بليندا: "منذ أيامنا الأولى، ركزنا على التعليم، لأننا نؤمن بأن التعليم الجيد هو الأداة الأكثر فعالية لمساعدة الناس على تحقيق إمكاناتهم".

وتسعى مؤسسة تانوتو، إلى جانب شركائها، إلى إزالة العقبات التي تحول دون الحصول على الفرص، سواء كان ذلك يعني مساعدة الأطفال على الحصول على التغذية التي يحتاجونها للنمو نموا قويا في إندونيسيا أو تحسين التعليم في مرحلة الطفولة المبكرة في الصين. وساعدوا حتى الآن في إنشاء 125 مركزا للتعليم المبكر في جميع أنحاء الصين، مع التركيز بشكل خاص على تحسين النتائج في المجتمعات الريفية.

وقد استرشدت تانوتو بخبرتها في القطاع الخاص لصياغة استراتيجيتها في العطاء، كما قادتها تلك الخبرة إلى دعوة الشركات لتكثيف مساهمتها في المبادرات الخيرية. وتقول تانوتو: "عندما تعمل شركات القطاع الخاص كشركاء منفذين، يصبح بإمكانها تعزيز الأثر على المستفيدين والمجتمعات بصورة هائلة".

وتدرك تانوتو أن التغيير الإيجابي الدائم يتطلب العمل من أطراف فاعلة عديدة، وهذا ما جعل مؤسسة عائلتها تقيم شراكات مع الحكومات والخبراء وحتى مع المجتمعات نفسها. لكنها تعتبر العمل الخيري كعامل محفز، أي أنه وسيلة تسمح بسد الثغرات ودفع عجلة التقدم، وهو ما من شأنه أن يؤدي إلى تغيير إيجابي دائم.

وفي نهاية المطاف، فإن ما نصبو إليه هو تحسين حياة البشر. وهذا يعني الاستمرار في تطوير الطريقة التي نتعامل بها مع العمل الخيري، ودعم الأشخاص الذين يتيحون فرصة لتغيير العالم نحو الأفضل. - بليندا تانوتو

وينبغي أن تكون الحكومات أول من يقدم على ذلك، فهي التي تقوم بالدور الأكبر والأكثر أهمية في ضمان وصول الحلول إلى الأشخاص الذين يحتاجون إليها. غير أن الحكومات تواجه أولويات متنافسة وجُملة من القيود المالية المعقدة. وغالبا ما يقدم الدعم المالي لمكافحة الأزمات الناشئة على حساب تمويل التصدي للتحديات الصحية والإنمائية الأساسية.

يتعين على الحكومات أن تبذل المزيد من الجهود. وينطبق ذلك أيضا على المنظمات متعددة الأطراف والشركات الخاصة، التي تضطلع بدور حيوي في دفع عجلة الابتكار والتقدم. وهناك قطاع آخر لديه إمكانات هائلة لجعل العالم أكثر إنصافا وصحة، وهو ما يجعلني أعود إلى الحديث عن تشاك فيني.

هناك الآلاف من الناس الذين يزدهرون اليوم بفضل فيني الذي رأى أن هناك فجوات فساعد على ردمها. هذا ما يمكن أن تحققه الأعمال الخيرية، على نطاق واسع. ويجد المحسنون في كافة أنحاء العالم طرقا جديدة للعطاء من أجل الحد من أوجه عدم المساواة. آمل أن يبذلوا المزيد، وأن ينضم إليهم عدد أكبر من الناس.

من الأفكار إلى الأثر على أرض الواقع

العالم مليء بالمبتكرين الذين يركزون اهتمامهم على التحديات الكبيرة. لكن تحويل فكرة ما إلى حل حقيقي يكون في متناول الناس، هذا أمر لا يحدث كثيرا. وعندما يحدث، فغالبا ما تكون الأعمال الخيرية قد ساهمت فيه بقدر أكبر مما يتصوره الناس.

لنأخذ المثال التالي: كان فيروس شلل الأطفال البري يؤدي إلى إصابة سبعة آلاف طفل بالشلل كل أسبوع في الماضي. وفي عام 2023، تراجع هذا العدد إلى 12 طفلا فقط على مدار العام بأكمله. ويعود الفضل في إحراز هذا التقدم إلى أولئك المبتكرين المتألقين الذين قاموا باكتشافات فارقة، وأولئك الأبطال الذين يعملون على الخطوط الأمامية لضمان وصول الحلول إلى الأطفال، حتى في أبعد المناطق من العالم. وتحقق جزء كبير من ذلك بفضل العمل الخيري: منظمة الروتاري الدولية ومؤسستنا وغيرهما من المنظمات التي تكرس جهودها لمستقبل خالٍ من فيروس شلل الأطفال.

وليس ما سبق إلا مثالا واحدا يوضح كيف أحرزت الحكومات والمنظمات غير الحكومية في العقود القليلة الماضية تقدماً مذهلاً في مكافحة الأمراض المعدية. وقد يسّر التحالف العالمي للقاحات والتحصين عمليات تحصين استفاد منها أكثر من مليار طفل. وقد أنقذ الصندوق العالمي 59 مليون شخص من فيروس نقص المناعة البشرية والسُل والملاريا. أما مركز كارتر وشركاؤه فهو على وشك أن يجعل مرض دودة غينيا، وهو عدوى طفيلية ضعيفة، ثاني مرض بشري في التاريخ يمحى من على وجه الأرض.

ولهذه الإنجازات بعض القواسم المشتركة. فهي تعكس العمل الشاق الذي قام به آلاف الأشخاص. وما كانت لتتحقق لولا المساهمات الخيرية. ويتمثل جزء من ذلك في الأموال. ولكن ما لا يقل أهمية عن ذلك هو كيف يوجه المحسنون أموالهم، ومع من يتعاونون.

بالنسبة لمؤسستنا، فإن ذلك يعني البحث عن إخفاقات السوق، أي المجالات التي قد لا يكون فيها لدى القطاعين العام والخاص حافز كافٍ للتدخل. وبالتالي فإنه من غير المرجح إحراز تقدم إذا لم تتحرك المؤسسات الخيرية. وهذا يعني تحفيز العمل من جانب أطراف أخرى، حتى نتمكن معا من المساعدة في توسيع نطاق الابتكارات المنقذة للحياة وتزويد الذين يعملون على إيجاد حلول للمشاكل بالأدوات اللازمة للذهاب أبعد وعلى نحو أسرع.

وهنا يكمن أحد الجوانب الأكثر إثارة في العمل الخيري، بما له من مرونة تساعده على التكيف بسرعة وتحمل المخاطر التي لا يقدر الآخرون على تحملها، وهو ما من شأنه أن يسرع وتيرة التقدم.

نحن نمضي بالأمور قدما، لكننا لا نفعل ذلك بمفردنا. نحن نقوم بعملنا كله بالتعاون الوثيق مع البلدان والمجتمعات لدفع التقدم نحو الأهداف التي حددوها، وليس العكس. ففي حين أن العمل الخيري يمكن أن يخاطر ويساعد في سد الثغرات التي قد تُهمَل أو لا تحظى بالتمويل الكافي لولا ذلك، فإنه لا يحدث فرقا إلا عندما يعمل في شراكة مع الحكومات والقطاع الخاص والخبراء المحليين.

التصميم من أجل المساواة:

الدور الفريد الذي يلعبه العمل الخيري

أينما أذهب أُسأل عما تفعله مؤسسة غيتس بشأن موضوعين رئيسيين، ألا وهما تغير المناخ والذكاء الاصطناعي. إن النهج الذي تتبعه مؤسستنا إزاء هاتين القضيتين يوضح تصورنا لدور العمل الخيري، ودورنا نحن على وجه التحديد.

أولا، تغير المناخ. توجه معظم الأموال التي تنفق على مشكلة المناخ إلى الجهود الرامية إلى التخفيف من آثارها - أي الحد من الانبعاثات الكربونية. ولا شك أن هذا أمر بالغ الأهمية لمستقبل كوكبنا. ولكن ماذا عن الآثار التي تعاني منها مجتمعات محلية بالفعل؟

الحقيقة هي أن الأشخاص الذين ساهموا بأقل قدر في هذه الأزمة - مثل صغار المزارعين في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى - هم من يعانون من أشد عواقبها. ومع ذلك، لا يحظى التأقلم مع المناخ إلا بعُشْر التمويل المخصص لمعالجة قضية المناخ العالمية. ومن ذلك الجزء اليسير، لا يذهب سوى جزء ضئيل إلى التدخلات التي تعود بالنفع على أكثر المجتمعات فقراً.

لذلك، فإنه بالعمل مع الحكومات والمجموعات الدولية مثل CGIAR، وهي أكبر منظمة عالمية للأبحاث الزراعية في العالم، تدعم مؤسسة غيتس تمويل عمليات البحث والتطوير وتقديم الحلول التي توسع الخيارات المتاحة للمزارعين. هذه الابتكارات، مثل الدجاج الذي هو أكثر قدرة مقاومة الأمراض الفتاكة وسلالات الكاسافا التي تتحمل الجفاف، قد لا تكون دائما مربحة للشركات الخاصة إذا أنتجتها. ولكن من شأن تلك الابتكارات أن تساعد الملايين من الأسر على زيادة دخلها. وهذا مثال نموذجي عن إخفاقات السوق التي ننوي معالجتها.

ثانيا، الذكاء الاصطناعي. عندما تظهر أي تكنولوجيا جديدة، من المرجح أن تسخرها الدول الغنية لتعزيز قوتها بينما تتخلف البلدان منخفضة الدخل عن الركب. وهذا ينطبق أيضا على الذكاء الاصطناعي. فهو لن يفيد المجتمعات الفقيرة ما لم يكن مصمما لذلك الغرض.

وفي الآونة الأخيرة، أطلقنا دعوة لتقديم مقترحات للباحثين الذين يستكشفون استخدام الذكاء الاصطناعي لتعزيز المساواة في الصحة والتنمية على الصعيد العالمي. وورد ما يقرب من 80٪ من المقترحات التي تلقيناها، وجميع المنح التي اخترناها، من باحثين في البلدان منخفضة ومتوسطة الدخل.

هم يخططون لاستخدام نماذج لغوية كبيرة لتحسين حفظ السجلات الطبية المتعلقة بالفتيات في باكستان، وتقديم استشارات بشأن فيروس نقص المناعة البشرية "الإيدز" في جنوب أفريقيا دون أن يرافقها أي استهجان، وإنتاج دروس مخصصة في مجال العلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات بواسطة الفيديو لأطفال المدارس النيجيريين، وبثّ معلومات حول مخاطر الملاريا باللغات المحلية عبر الراديو التنزاني، وغير ذلك الكثير.

ربما كان من الممكن أن يتحقق هذا العمل دون مشاركتنا. لكن الدعم الخيري يزيد بشكل كبير من احتمال وصول الحلول إلى الأشخاص الذين يحتاجون إليها، وفي أقرب وقت ممكن.

هناك العديد من الطرق لجعل المستحيل ممكنا

نحن فخورون بالدور الذي تلعبه مؤسستنا للمساعدة في حل المشكلات العاجلة، لكن لسنا الوحيدين الذين يقومون بهذا العمل. هناك الكثير من المحسنين الذين يضيفون منهجيات جديدة وخبرة فريدة لمجموعة واسعة من القضايا.

تبدو منظومة الأعمال الخيرية مختلفة عما كانت عليه عندما بدأت هذا العمل قبل أكثر من 15 عاما، وهذا أمر جيد. فالمانحون في جميع أنحاء العالم يقدمون رؤية جريئة وخبرة حيّة لتحديات معقدة. يساعد منتدى العمل الخيري الأفريقي المانحين الأفارقة على العمل معاً لدفع عجلة التنمية الشاملة والمستدامة في جميع أنحاء القارة. أنا متحمس حيال العمل الذي تقوم به مؤسسات في الهند والصين وسنغافورة في مواجهة المشاكل المحلية والعالمية. ومع مشاركة الجيل القادم من المحسنين في هذا المجال، سيأتون بأفكار جديدة ترفع مستوى جودة العطاء.

وبطبيعة الحال فإن أصحاب الثروات الكبيرة ليسوا وحدهم من بوسعهم إحداث تغيير. فالتبرعات الصغيرة، إذا ما أخذت معا، لها تأثير هائل. ويشارك اليوم ما يقرب من نصف دول العالم في حملة GivingTuesday، وهي حملة يسرت تقديم تبرعات فاقت قيمتها 13 مليار دولار منذ إنشائها في عام 2012.

ولا ننسى أيضا الملايين من الناس في جميع أنحاء العالم الذين يرسلون الأموال كلما تلقوا رواتبهم إلى أسرهم في بلدانهم الأصلية. وبلغ هذا النوع من العطاء، الذي يسمى التحويلات، 590 مليار دولار في عام 2020. وهو مبلغ يفوق بكثير جميع المساعدات الدولية الأخرى مجتمعة.

المنظمة غير الربحية " Tuesdays for Trash"، تنظم حملة لجمع القمامة في إطار يوم العطاء "GivingTuesday" خلال عام 2022. صورة من Tuesdays for Trash.

قد تتوقع أنه عندما يواجه الناس صعوبات مالية، سيؤدي ذلك إلى تراجع التحويلات المالية. ولكن ما يحدث هو عكس ذلك: إذ أن الناس يقتصدون في عيشهم حتى يتمكنوا من إرسال المزيد من المال إلى أسرهم. خلال جائحة كوفيد-19، ازدادت التحويلات المالية بنسبة 19٪.

إن عالمنا يزخر بأعمال السخاء. وتتوافر فيه موارد أكثر من أي وقت مضى لمساعدة المحسنين على جعل سخائهم يحدث أثرا ملموسا، من تعاونيات المانحين الصناديق التعاونية، كما يشار إليها أيضا الصناديق التعاونية، إلى نماذج جديدة من العطاء على نطاق واسع.

أعرف أن هناك أشخاصا ملتزمين حقا بالعمل الخيري ولديهم قدرة محدودة على العطاء اليوم. ولكن بالنسبة لأولئك الذين لديهم قدرة كافية على العطاء، إذا بدأوا الآن فسيكون لذلك فوائد هائلة.

ومن تلك الفوائد هو أنك ستتمكن من رؤية التأثير الذي يحدثه عطاؤك. كما سيكون لديك الوقت لبناء الثقة والتفاهم مع الناس الذين ينجزون العمل. الشراكات القوية هي مكافأتهم الخاصة - لكنها تؤدي أيضا إلى تأثير أكبر. وكلما عجلت بالبدء، ولّدت المزيد من الزخم. وهذا مهم بشكل خاص عندما تعمل على قضايا لا يقاس فيها التقدم بالأشهر ولا حتى بالسنوات بل بالعقود.

توجيه التبرعات نحو أكثر المجالات احتياجا

وسواء كان المانحون ينوون التبرع بـ 10 دولارات أو 10 ملايين دولار، فإنهم يريدون التأكد من أن مساهماتهم ستحدث تأثيرا على أرض الواقع. ومع تعدد خيارات التبرع من حيث مجال الاحتياجات وكيفية التبرع، قد يشعر المانحون بالتردد في اتخاذ القرار بهذا الشأن. لكن بفضل عقود من الابتكار والتعاون في مجال العمل الخيري العالمي لم يعد المانحون مضطرين إلى خوض تلك الرحلة بمفردهم.

تريفون موليير (على اليسار) يعمل أثناء تدريبه مع مرشد. تم ترتيب التدريب من قبل تعاونية YouthForce NOLA في نيو أورليانز، لويزيانا
© Gates Archive/Christiana Botic.

كيف يمكن للجهات المانحة توجيه الأموال إلى المناطق الأكثر احتياجا، مع التأكد من أنها تنفق بكفاءة؟

في الولايات المتحدة، تعد المؤسسات المجتمعية موردا استثنائيا. لديها روابط محلية عميقة ويمكنها أن تساعد في توجيه المانحين إلى المجالات حيث يكون للعطاء أكبر أثر.

تشكل تعاونيات المانحين موردا كبيرا للعطاء الدولي واسع النطاق. تجمع هذه المنظمات الجهات المانحة معا، وتوفر خبرة عميقة، وتوجه الأموال إلى المنظمات المحلية بشكل فعال.

نساء يتبادلن التجارب المتعلقة بمشاركتهن في دورات تدريبية حول المساواة بين الجنسين في مدينة بيهار الهندية.
©Gates Archive/Mansi Midha

الشراكات التعاونية مع المانحين والتزامهم المشترك بتحقيق مبدأ المساواة

سبعون في المائة من تعاونيات المانحين ذكرت أنها تعطي الأولوية صراحة للمساواة الجنسية أو العرقية.

وبعضها يركز على قضايا محددة، مثل صندوق END Fund، الذي يركز على القضاء على الأمراض المدارية المهملة، أو صندوق Co-Impact Gender Fund، الذي يدعم القيادة النسائية. والبعض الآخر يساعد مجتمعات محددة. تركز Anamaya على صحة وتغذية المجتمعات القبلية في الهند. أما Blue Meridian Partners فهي تسعى إلى توسيع نطاق الحلول التي تزيد الفرص المتاحة للأشخاص الذين يعانون من الفقر في الولايات المتحدة وجمعت 4.5 مليار دولار منذ إنشائها.

تلقت المنظمة غير الربحية Habitat for Humanity of Greater Los Angeles تبرعاً بقيمة 20 مليون دولار من المُحسِن ماكينزي سكوت. Photo by MediaNews Group/Long Beach Press-Telegram via Getty Images

هل المؤسسات الصغيرة مجهزة حقا لاستيعاب التبرعات الكبيرة؟

في عام 2020، بدأت ماكنزي سكوت في تقديم تبرعات كبيرة وغير مقيدة لمنظمات غير ربحية ومؤسسات تعليمية، وكثير منها منظمات صغيرة. وتساءل بعض الناس عما إذا كانت التبرعات تفوق ما يمكن للمنظمات المتلقية أن تتعامل معه.

لكن كشفت دراسة أجراها مركز الأعمال الخيرية الفعالة (Center for Effective Philanthropy) أن قادة المنظمات غير الربحية الذين تلقوا منحا من سكوت أبلغوا عن بعض العواقب السلبية وكانوا يخططون على المدى الطويل لتقليل المخاطر بعد إنفاق المنح. واليوم، باتت هذه المنح تعزز ما يقرب من 2,000 مؤسسة فعالة في جميع أنحاء العالم.

ما يمكن أن تفعله مليارات الدولارات

إن العطاء الذي قدمه تشاك فيني مثير للإعجاب من عدة جوانب، لكن الشيء الذي يثير إعجابي أكثر من أي شيء آخر هو أنه أعطى الأولوية للأشخاص الأكثر افتقارا للفرص.

يعبر معظم المانحين الأثرياء عن رغبتهم في التبرع من أجل التغيير الاجتماعي، ولكن في الممارسة العملية، يذهب الجزء الأكبر من تبرعاتهم إلى جامعات النخبة والمؤسسات الثقافية. أما فيني فقد فعل كلى الأمرين. فهو أعطى ما يقرب من مليار دولار للجامعة التي درس فيها، لكنه تبرع أيضا بالمليارات لتلبية احتياجات إنسانية أساسية.

تخيل كل ما يمكن تحقيقه إذا اقتدى به المزيد من المانحين. تخيل لو أن أحدهم تبرع بمبلغ 100 مليون دولار لجامعة انتقائية للغاية، وأقدم أيضا على التبرع بمبلغ 100 مليون دولار آخر لإنشاء نظام يجعل الكتب المدرسية عبر الإنترنت مجانية لكل طالب جامعي في الولايات المتحدة إلى الأبد. وماذا لو قدم أحد المانحين 20 مليون دولار لمؤسسة تبحث عن علاج للسرطان، و20 مليون دولار لتمويل الأبحاث بشأن الملاريا، هذا المرض الذي لا يزال يقتل طفلا كل دقيقة؟ وماذا لو قدم أحدهم 5 ملايين دولار للمدرسة الخاصة التي يدرس فيها أطفاله و5 ملايين دولار لدعم التعليم الجيد في جميع أنحاء أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى؟

أعلم أن قلة من الناس فقط لديهم الرغبة في التخلي عن كل ثرواتهم أو القدرة على فعل ذلك. ولكن هناك مسافة شاسعة بين سخاء فيني الشديد والحالة الراهنة للعطاء بين شريحة الأثرياء للغاية، كما أن هناك العديد من الفرص لإحداث أثر على أرض الواقع.

وعلى الصعيد العالمي، تبلغ القيمة الصافية لثروات ملياردیرات العالم البالغ عددهم 2,640 ملياردیرا ما لا يقل عن 12.2 تريليون دولار. إذا تبرع المحسنون بمليون دولار فصيصبح بإمكانهم تمويل تدخلات عالية التأثير ومنخفضة التكلفة من شأنها أن تنقذ حياة مليوني أم وطفل إضافيين بحلول 2030. وإذا تبرعوا بمبلغ 4 مليارات دولار، فسيكون بوسعهم أن يساعدوا نصف مليار من صغار المزارعين على أن يصبحوا أكثر قدرة على التكيف مع تغير المناخ والتقليل من انبعاثات غازات الدفيئة الناتجة عن الزراعة بمقدار 1 غيغاطن سنويا بحلول عام 2030. وبمبلغ يزيد قليلا عن 7 مليارات دولار، يمكنهم توفير لقاحات لـ 300 مليون شخص، مما سيمنع ما لا يقل عن 7 ملايين حالة وفاة.

مصدر الصورة: ©Gates Archive/Brian Otieno

أما إذا تبرع كل ملياردير على وجه الأرض بما يعادل 0.5٪ من ثروته، فسنحصل على 61 مليار دولار، وهو ما يكفي لتغطية كل ما سبق وسيتبقى من ذلك المبلغ 49 مليار دولار.

هذا النوع من التبرعات يمكن أن يخلق الكثير من الفرص لكثير من الناس، ولكن شريطة أن تنفق تلك الأموال، وعلى نحو جيد. في الولايات المتحدة وكندا وأستراليا، يطلب من المؤسسات الخيرية صرف ما لا يقل عن 5٪ من أصولها كل عام. أنا شخصيا أعتقد أنه يمكن أن تكون هذه النسبة أعلى من ذلك، خاصة وأن الأمر هنا يتعلق بأموال تتمتع بميزات ضريبية. وعلى كل حال، فإن ذلك أفضل من الوضع السائد حاليا في معظم أنحاء أوروبا، حيث أن المؤسسات الخيرية ليست ملزمة بصرف أي مبلغ.

إن عالم اليوم لا يخلو من المشاكل المعقدة التي يجب معالجتها، لكنه لا يخلو كذلك من المبتكرين الراغبين في حلها. ففي جميع أنحاء العالم، ثمة مبتكرون يوشكون أن يطوّرا حلولاً فارقة يمكن أن تنقذ حياة الملايين وتحسن ظروفهم المعيشية. وبدأت بعض من تلك الحلول تصل بالفعل إلى الناس الذين هم بحاجة إليها. وبعضها الآخر سيستغرق بعض الوقت للوصول إليهم ولكنها حلولاً من شأنها أن تغير الحياة كما نعرفها. ولكن إذا غاب الاستثمار السخي والدعم المستمر، فستبقى الأفكار العظيمة مجرد أفكار.

وإذا أقدم مزيد من الأشخاص على تعزيز التزاماتهم وتركيز مواردهم على المجالات الأكثر احتياجا، فيمكن أن تترجم تلك الأفكار إلى أفعال لها تأثير على أرض الواقع. وهذا يعني أنه سيكون هناك المزيد من المزارعين الذين سيكون بوسعهم إعالة أسرهم أياً كانت أحوال الطقس، والمزيد من الأطفال الذين لن يعانوا من أمراض يمكن الوقاية منها، والمزيد من الأمهات اللاتي سيفرحهن بالولادة بدلا من الخوف منها.

معا، يمكننا تحقيق الإمكانات الكاملة للعمل الخيري في وقت العالم في أمس الحاجة فيه إلى ذلك.

بقلم مارك سوزمان
الرئيس التنفيذي
مؤسسة بيل ومليندا غيتس